Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخنق الصلة بينهما وبين الأدب، ودخلت دراستها - بسببه ومن بعده - مجاهل ضل فيها الذين يعلمون والذين لايعلمون، وأثر كتابه كل التأثير فيمن تابعوه من الشراح والملخصين حتى العصر الذى نعيش فيه [١] وهذا ما سيتضح بصورة أكبر فيما يأتى من فقرات هذا المقال .

* * *

«البلاغة فى الكلام هى مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته» بهذه العبارة تتفتح وجوه البحث فى دراسات علوم البلاغة بتفصيلاتها الكثيرة ، وتبدو براعة البلاغيين فى أبحاثهم حول تفسير هذه العبارة وفهمها كى تشمل كل علوم البلاغة الثلاثة «فالمراد بمناسبات الحال الخصوصيات التى يبحث عنها فى علم المعانى ، دون كيفيات دلالة اللفظ التى يتكفل بها علم البيان . إذ قد تحقق البلاغة فى الكلام بدون رعاية كيفيات الدلالة . بأن يكون الكلام المطابق لمقتضى الحال مؤديا للمعنى بدلالات وضعية ... نعم إذا أدى المعنى بدلالات عقلية مختلفة فى الوضوح والخفاء . لابد فى بلاغة الكلام من رعاية كيفية الدلالة أيضا [٢] » .

فالمطابقة لمقتضى الحال تقتضى تعبيرا يؤديها ، وإذا كانت دلالات الألفاظ فى هذا التعبير وضعية على حسب عرف اللغة فقط ، اختصت هذه العبارة - مطابقة الكلام لمقتضى الحال - بعلم المعانى ، أما إذا كانت تلك التعبيرات التى تؤدى هذه المطابقة مما تدخل فيها الصنعة العقلية والقدرة البلاغية بحيث تختلف وضوحا وخفاء - لاحظ أن الخفاء لدى البلاغيين أبلغ - فإن العبارة تشمل علم البيان أيضا ، إذ تختلف فيه مستويات التعبير بين الارتفاع والهبوط حسب حظها من الوضوح والخفاء ، وحسب حظ

---

(١) يلاحظ أن دراسة البلاغة فى جامعاتنا ومدارسنا لا زالت تسير على نفس الطريق الذى وضعه السكاكى وشراحه ، وتردد نفس الأمثلة والشواهد ولم يحدث بها تجديد فكرى بل شكلى .

(٢) شروح التلخيص جـ١ صـ ١٢٣ (الإيضاح : للقزويني) . فقد لخص القزوينى مفتاح السكاكى ونال هذا التلخيص ما لم ينله الأصل من الاهتمام والشروح الكثيرة ومنها مجموعة مشهورة فى كتاب واحد بهذا الاسم .